Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يستطع القسم الواقعي أن يرتفع الى مستوى القسم الخيالي العلمي · لقد آثر الكاتب في القسم الأخير أن يخاطبنا بالمنطق المعقول لا المنطق المتخيل · فكان علينا أن نحاسبه بنفس المنطق ، لنرى أن ابن لعبون كان في النهاية ميت ، سواء أشرب قطرات البترول أم لم يشربها · وذلك وفق سياقه ذاته : « كان الترف قد كسا جلده بطبقة سميكة من الدهن زحف حول قلبه فاختنقت حركته ·· وتخلل عضلاته فترهلت ·· وأدى ذلك الى هبوط مزمن مع تضخم ·· وكانت الخمر قد أتت على كبده ومعدته ·· فلم يبق منها الا تليفات وقرح ، وزاد على ذلك ارتفاع كبير في ضغط الدم · وهبوط كلوى حاد يظهر على جسده تنفخات وأوراما ·· كان من الصعب أن أخبره بحقيقة حالته فقد كان من الواضح انه في أيامه ·· أو ساعته الأخيرة ·· » ·

فبعد أن أقنعنا بأن البترول « يحيى » لم يقنعنا بأنه « يميت » · وبقي السبب تكامنا في الترف والانغماس في الرفاهة · ومن ثم فقد هدم نظريته المتخيلة في هذا القسم · وأصبح البترول كالاتجار في السوق السوداء والاتجار بمصائر الشعوب وما شابهها · يتمركز دوره في الحصول على الثراء السريع ، الذى يوصل في الأمم غير المتحضرة الى الترف المهلك للقرى · أما سقوط « زجاجة البترول » معلنة وفاة ابن لعبون فكان رمزا مسرحيا مصطنعا ·

ان كسوة الفكرة المسبقة لحما أمر بالغ الصعوبة · وقد لاحظنا في القسم الأول اقتران الصفاقة والعنجهية بالقوة والنشاط ، عندما انتفض ابن لعبون قائلا للمصرى : « يا فوال ·· يا آكل المدمس » · ولا أعتقد أن ثمة تلازما بين الصفاقة والقوة ، والا لانسحب أثر ذلك على الدول الغربية التي تفجر البترول من أرضها · وتلك نقطة ضعف أخرى في الفكرة الأساسية ، كنا نتوقع أن يرأب صدعها بموهبته النشطة في القسم الثاني مقدما تبريرا لهذا التلازم · واذا كانت الصفاقة والتنابز بالأطعمة طارئة على ابن لعبون ، فانها لم تتولد من البترول ، وانما من الثراء الجاهل الذى يكتفي بالتعامل مع المنجزات الحضارية لا ابداعها · وتعامله معها ليس تعاملا حضاريا ، اذ أنه يسخرها لملذاته المغنية ، لا لتنميته المغنية ·

ورغم أن القاص لم يوفق التوفيق كله في كسو فكرته الأساسية باللحم ، فقد كان موهوبا في جذبنا الى متابعة القصة حتى النهاية بنفس الروح الحماسية التي دبت في نفوسنا منذ قراءة أول فقرة · لا شك أن وقائي حجازى موهبة جديدة جديرة بالرعاية ·